Ministry of Higher Education
and scientific Research
University of Thi Qar
College of Education for Humanities

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار
كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار

ISSN:٢٧٠٧-٥٦٧٢

المجلد (١١) العدد (٤) ٢٠٢١

جامعة ذي قار – – كلية التربية للعلوم الانسانية- مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية
utjedh@utq.edu.iq

هيأة التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيأة التحرير

ا.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

ت	الاسم	الجامعة	الاختصاص
١	أ.د. سعد علي زاير	جامعة بغداد	طرائق تدريس
٢	أ.د. مصطفى لطيف عارف	جامعة ذي قار	اللغة العربية
٣	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	جامعة كربلاء	علم النفس
٤	أ.د. عماد ابراهيم داود	جامعة ذي قار	اللغة الانكليزية
٥	أ.د. صلاح الدين احمد	جامعة عمان	علم النفس
٦	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	جامعة اسيوط	الجغرافية
٧	أ.د. عثمان برهومي	جامعة صفاقس/تونس	التاريخ
٨	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	جامعة ذي قار	التاريخ
٩	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	جامعة البصرة	ارشاد تربوي
١٠	أ.م. انتصار سكر خيون	جامعة ذي قار	الجغرافية

المحتويات

ت	اسم الباحث و عنوان البحث
١	شعرية الصور المشابهة في كتاب نثر الدر في المحاضرات لأبي سعيد الآبي (ت ٤٢١هـ). أ.د. حسين علي الدخيلي م.م سعاد علي جبر
٢	الإيواء والكفالة بين النص القرآني والموروث الروائي دراسة تحليلية (ايواء ابي طالب للنبي أنموذجا) م.د أحمد فاضل عجيمي
٣	قرار التصويت والاجماع الخاطئ للناخب العراقي دراسة عن الانتخابات النيابية في العراق لعام ٢٠١٨ ا.د ابراهيم مرتضى الاعرجي م.د عبد الخالق خضير عليوي
٤	معركة نيقوبوليس عام ١٣٩٦ ونتائجها أ. د علي حسين نمر م. فاطمة عبدالجليل ياسر
٥	اتجاهات معلمات رياض الاطفال نحوضبط الذات لدى ألاطفال من خلال الاركان التعليمية م.د. سعاد عبدالله داود الزاملي
٦	المرأة في بعض مجموعات هادي الربيعي الشعرية محمد يحيى حسين الثرواني
٧	التوظيف المعجمي والسياقي لفهم المفردة القرآنية عند حاج حمد أ.د . رعد هاشم عبود م.م. نرجس عبد الرضا حسين
٨	الحوار الاستفهامي في مسرحية الحسين ثائرا دراسة نحوية بلاغية

	ا.د سيد حسين سيدي عقيل فرحان دعيم
٩	النشاط السياسي والفكري لحسن تقي زادة في ايران عهد رضا شاه أ.د طيبه خلف عبد الله م.م: ماجد مطر عباس
١٠	فاعلية برنامج ارشاد جماعي(معرفي– سلوكي) في تغير معتقدات التحكم لدى عينة من طلبة الاقسام الداخلية في جامعة سومر ا.د. عبد السجاد عبد عبد السادة م.م. هدى تركي عبد الجبار
١١	قضية الطبع والصنعة بين النقاد المشارقة والاندلسيين – دراسة موازنة أ.د. عباس جخيور سدخان الباحثة : إسراء حسن
١٢	مكانة العلة وأهميتها في الفقه أ.م.د. عقيل رزاق نعمان الباحثة : رشا علي عيسى
١٣	استراتيجية الصراع وحركية الحدث في نصوص (عباس منعثر)المسرحية (مونو) اختيارا م. م: زهراء كريم حسن أ. د. احمد حيال جهاد
١٤	أثر الامام الحسن بن علي (عليه السلام) في التمهيد للنهضة الحسينية م . م وسن عبد الامير حمود
١٥	**أثر السيد محمد سعيد الحبوبي (١٨٤٩–١٩١٥) ودوره في تحشيد عشائر المنتفك لمواجهة الاحتلال البريطاني** م.د. مسلم عوض مهلهل
١٦	Enhancing EFL Non-Native Speakers' Communicative Skills, Grammatical Competence and Pronunciation Using Mobiles م . م امال صبار جليد م . م احمد ابراهيم الطيف

Factive and Non-Factive Verbs in Selected M.A. Theses of College of Education (Ibn-Rushd) for Human Sciences (٢٠١٥-٢٠٢٠) A Syntactico-Semantic Study Asst. Prof. Huda Abed Ali Hattab Nabeel Ibraheem Abed-Alwhaab	١٧
In Search for the Villain in Herman Melville's "Billy Budd, **احمد هاشم عباس**	١٨

أَلْفَاظُ النَّوْمِ فِي القُرآنِ الكَرِيمْ
دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ

The words of sleep in the Noble Qur'an
Semantic study

أ. م. د. يعقوب يوسف خلف
Dr.yaqoob yoysef al yassr
dr.yaqoob.yosif.alyassri@utq.edu.iq

أ. م. د. حَيْدَر عَلِي حُلُو الخِرْسَان
Dr.. Haider Ali hell
dr.heider.ali.hello@utq.edu.iq

قسم اللغة العربية- كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة ذي قار- محافظة ذي قار- العراق
Department of Arabic Language - College of Education for Human Sciences -
University of Thi Qar - Dhi Qar Governorate – Iraq

الكلمات المفتاحية: الدَّلالة ، الاستعمال القرآني ، أقوال المفسِّرين ، الدلالة المعجميِّة ، المفردة القرآنيَّة .
Keywords: semantics, Quranic usage, commentators' sayings, lexical significance, Quranic vocabulary

المُلخص

يتلخصُ بحث (ألفاظ النوم في القرآن الكريم دراسة دلالية) بتناول الألفاظ الدالة على النوم مثل(النوم، والسنة، والنعاس، والهجوع، والقيلولة، والرقود) وغيرها، وبيان معانيها الدلالية، وهل هي مترادفة، أو مختلفة في معانيها في الاستعمال القرآني، وذلك بعد التأصيل لدلالتها المعجمية الأصلية ضمن استعمالها اللغوي؛ ليتسنَّى لنا إجراءَ المقاربات الدلالية بين دلالتها المعجمية ودلالتها القرآنية في ضوء تأثيرات السياق، ومقتضيات المقام.

كذلك بيَّنَّا دلالة هذه الألفاظ في مستواها التركيبي، إذ رصدنا فيه الدلالة التي تستمدُّ من نظام الجملة وترتيبها، فالمفردةُ القرآنيةُ هي إحدى الأدوات المهمة في البناء التركيبي الجُملِي للنص، والتي تؤدي إلى بيان الهدف الدلالي للنص القرآني.

النتائج:

١/ إنَّ الألفاظَ التي أوردناها في متن البحث ليست كلُّها دالَّةً على (النوم) كما ذكر كثيرٌ من اللغويين، بل إنَّ بعضها يدلُّ على ما هو سابق على النوم كلفظة (السنة)، وبعضها يعدُّ (النوم) واحداً من مصاديقها، إذ هي تشمل (النوم) وغيره، والمحدد للدلالة الدقيقة القرائن اللفظية والمقامية.

٢/ دلَّ البحثُ على أنَّ هذه الألفاظ - وإنْ كان عددٌ منها يشترك في دلالة واحدة- يلحظُ الاستعمالُ القرآنيُّ الفرقَ الدلاليَّ الدقيق بين هذه الألفاظ، فيستعمل كلَّ لفظة في مكانها المناسب، بحسب ما يقتضيه السياق، وإنَّ الألفاظَ الأخرى لا يمكنها أنْ تقوم مقامها، لما في هذه اللفظة من ملحظٍ دلالي يناسب السياق لا يتوفَّرُ في الألفاظ الأخرى.

٣/ مثلما كان القرآن الكريم دقيقاً في اختيار كلِّ لفظةٍ من ألفاظ (النوم) بحسب دلالتها المناسبة، فهو كذلك دقيقٌ في مراعاة أنْ تكون كلُّ لفظةٍ قد أخذت موقعها التركيبي الدقيق والمناسب بنحو لو تغيَّرَ موقعُها لأفضَتْ إلى دلالة أخرى قد لا تنسجم ومقتضيات المقام.

Summary

The research (words of sleep in the Noble Qur'an, a semantic study) is summarized by addressing the words indicating sleep, such as (sleep, sunnah, drowsiness, remission, siesta, lying down) and others, and clarifying their semantic meanings, and whether they are synonymous, or different in their meanings in Quranic usage, after Rooting for its original lexical significance within its linguistic use; In order for us to make semantic approaches between its lexical significance and its Qur'anic significance in light of the effects of the context, and the requirements of the place

We also explained the significance of these words in their syntactic level, as we observed in it the significance that derives from the sentence system and its arrangement

Results

١ /The terms that we have mentioned in the text of the research are not all indicative of (sleep) as many linguists have mentioned, but some of them indicate what precedes sleep

such as the word (sunnah), and some consider (sleep) as one of its cognates, as it includes

.sleep) and others, which are specified for precise significance by verbal and maqam clues

٢/The research indicates that these words - even if a number of them share a single connotation - the Qur'anic usage notes the precise semantic difference between these words, so each word is used in its appropriate place, according to what the context requires

and that the other words cannot take their place, because In this word, a semantic note fits.

the context that is not available in other words

٣/Just as the Holy Qur'an was precise in choosing each word (sleep) according to its appropriate connotation, it is also accurate in taking into account that each word has taken its precise and appropriate structural position in the manner that if its position changed.
it would lead to another indication that may not be consistent with the requirements of the place

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلَّم) وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أمَّا بعد:

فقد وجدتْ نظريةُ الحقول الدلالية طريقها إلى التطبيق في النص القرآني, فكثرَ الرصدُ لألفاظ متعددة ترتبط دلالتها تحت حقل دلالي عامٍ يجمعُها, فجاءتْ دراسةُ ألفاظ البيع والشراء في القرآن, ودراسةُ ألفاظ الفرح والحزن, وألفاظ الطبيعة, وألفاظ الجوارح, وألفاظ الربح والخسارة وغيرها كثيرٌ، وكُلُّها شواهد على الاهتمام بتطبيق نظرية الحقول الدلالية في النص القرآني.

وجاءتْ هذه الدراسةُ لرصد ألفاظ النوم في القرآن الكريم من أجل التعرُّف على التآلف والتناسق بين هذه الألفاظ , ونكشفُ فيها عن جمال سبكِ هذه الألفاظ، وعمقِ أثرها, إذ بها تتبيَّنُ دقةُ استعمال القرآن لألفاظه، بنحوٍ لا يمكن أنْ تؤديَ أيُّ لفظة مكان لفظة أخرى، حتى وإنْ كانت تقتربُ في دلالتها من لفظة أخرى, ونحن في هذا البحث لا نزعم أنَّنا نقدِّمُ دراسةً ضمن نظرية الحقول الدلالية, ولا نريدُ لها ذلك، إذ إنَّنا نسعى أن نبحثَ عن دقة التناسب والتآلف لكلِّ لفظةٍ من هذه الألفاظ ضمن نطاقها التركيبي, وعليه فقد جاء هذا البحث مُقسَّماً على مبحثين:

الأول: يتناولُ دلالة هذه الألفاظ في استعمالها القرآني, بعد التأصيل لدلالتها المعجمية الأصلية ضمن استعمالها اللغوي؛ ليتسنَّى لنا إجراءَ المقاربات الدلالية بين دلالتها المعجمية ودلالتها القرآنية في ضوء تأثيرات السياق, ومقتضيات المقام.

الثاني: وتناولنا فيه البحث عن دلالة هذه الألفاظ في مستواها التركيبي, إذ رصدنا فيه الدلالة التي تستمدُّ من نظام الجملة وترتيبها, فالمفردةُ القرآنيةُ هي إحدى الأدوات المهمة في البناء الجُمَلِي للنص, فهي وسيلةٌ للتوصل الى البناء التركيبي للنص الذي يؤدي الهدف الدلالي للنص القرآني.

وهنا نُنبّه إلى أنَّنا لم نجدْ دراسةً تناولتْ هذه الألفاظ بالكيفية التي درسناها سوى البحث المنشور على صفحة الانترنيت بعنوان (آيات النوم في القرآن الكريم دراسة موضوعية)، وهي دراسةٌ ضمن علوم القرآن وتفسيره تركز على الجوانب الموضوعية في النوم، كالبحث عن فوائده وأحكامه وآدابه ومراحله فلا تلتقي مع دراستنا, لا في المنهج ولا في البنية, سوى أنَّها اشتركت معنا في الإلماع الى الألفاظ الدالة على النوم, مع التنبيه على أنها أغفلَتْ ألفاظاً دالَّةً على النوم كلفظ(القيلولة).

وبعد ذلك فإنَّنا لا ندَّعي أنَّنا أحطنا بالموضوع من كلِّ جوانبه, وأنَّى لنا ذلك، ونحن أمام نصٍّ إلهي فاق حسنُهُ كلَّ حسنٍ, وعلا بيانُه على كلِّ بيانٍ, فالتقصيرُ والعجزُ هما شعورُ كلِّ من يخوض في البحث القرآني المعجز, ولكنْ حسبُنَا أنَّنا أخلصنا القصدَ, وبذلنا الجهدَ, فإنْ أصبنا فذلك من توفيق الله وفضله, وإن كانت الأخرى فتلك طبيعة البشر, وإنَّ الكمال لله وحده, ولله الحمدُ أولاً وآخراً.

الباحثان

المبحثُ الأولُ

ألفاظُ النَّومِ بين الدَّلالةِ المعجمية والاستعمالِ القرآني

نتناولُ هنا الألفاظَ الدالةَ على النوم معتمدين التسلسل الهجائي في ترتيبها, إلا أنَّنا استثنينا لفظة (النوم) من هذا الترتيب، إذ وضعناها في مقدمة الترتيب؛ لأنَّ الألفاظَ الأخرى كلَّها تندرج ضمن دلالة النوم, فلفظة (النوم) تمثل العنوان والأصل الذي تتمحور حوله سائر الألفاظ الأخرى ممَّا اقتضى أنْ تتقدَّم الألفاظُ مع أنَّها متأخرةٌ عنها بحسب الترتيب الهجائي, وعليه فألفاظ النوم هي بحسب الترتيب الآتي:

أولاً: (نوم):

ذكر ابنُ فارس(ت٣٩٥هـ) أنَّ (نوم) ((أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمود وسكون حركة))[١]، إذ لحظ اللغويون في هذه اللفظة دلالة استرخاء الأعصاب والفتور والسكون، ولحظوا فيها أيضاً دلالة ثقل السكون، بمعنى أنَّ الإنسانَ يفقد معه القدرةَ على التواصل مع الأشياء بدنياً وعقلياً، قال الفيومي: ((النوم غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء))[٢].

ولم يفت اللغويون محاولتهم معرفة كنه (النوم) وحقيقته، فكانت لهم في ذلك أقوالٌ: منها:

إنَّ النومَ هو استرخاءُ أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه.

ومنها: إنَّ النوم هو شبيه بالموت إلا أنَّ النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل[٣]، وغيرها من الأقوال.

ولم يكن اللغويون وحدهم الذين اختلفوا في معرفة حقيقة (النوم)، بل نجد الاختلاف عند علماء النفس والبيلوجيا على الرغم من تطوّر العلم والتقنيات العالية للأجهزة الحديثة، ومع اختلاف العلماء في بيان حقيقة النوم إلَّا أنَّهم متفقون على أنَّ (النوم) يمثلُ ((الحالة المستوجبة لفقدان الإحساس بالخارج، وتوقف قوة الإدراك، والذي يكون من علاماته غياب الإبصار والسماع معاً))[٤].

ولفظُ النوم هو أكثرُ ألفاظ النوم استعمالاً في القرآن الكريم، إذ ورد في تسعة موارد اشتقاقية مختلفة، وعلى النحو الآتي:

١/ وردَ لفظُ (النوم) مصدراً في ثلاثة مواضع هي قوله تعالى: ((اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)) البقرة :٢٥٥، وقوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً)) النبأ :٩ .

٢/ ورد بصيغة اسم فاعل في موضعين، هما: قوله تعالى: ((أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ)) الأعراف ٩٧ ، وقوله تعالى: ((فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ)) القلم ١٩ .

٣/ وردَ بصيغة المصدر الميمي في أربعة مواضع، هي: قوله تعالى: ((يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)) الصافات ١٠٢ ، وقوله تعالى: ((إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً)) الأنفال ٤٣ ، قوله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ)) الروم ٢٣ ، قوله تعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)) الزمر ٤٢ .

ولأجل استجلاء سرّ التعبير للفظ (النوم) في هذه الآيات المباركة، فإنَّنا نعمد الى ذكر مجموعة من الملحوظات تتوضَّح في ضوئها دلالاتُ لفظ (النوم)، وأسرار التعبير القرآني في هذا اللفظ دون غيره من ألفاظ النوم، أو الدالة على النوم التي استعملت في القرآن الكريم:

١/ ذكرَ اللهُ سبحانه وتعالى في مجموعة من النصوص القرآنية لفظَ (النوم) في معرض الامتنان على الإنسان، وإنَّ هذه الظاهرة آيةٌ من آياته، قال تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ)) الروم ٢٣، وفي قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً)) النبأ ٩، فهذا ((امتنانٌ على الناس بخلق نظام النوم فيهم؛ لتحصلَ لهم راحةٌ من أتعاب العمل الذي يكدحون له في نهارهم، فاللهُ تعالى جعل النومَ حاصلاً للإنسان بدون اختياره، فالنوم

يجيءُ للإنسان إلى قطع العمل؛ لتحصل راحة لمجموعة العصب الذي ركنه في الدماغ، فبتلك الراحة يستجدُّ العصبُ قواه التي أوهنها عملُ الحواس وحركات الأعضاء وأعمالها))[٥].

وحاجةُ الإنسان الفطرية إلى النوم ندركها ببداهة الوجدان، وهذا ما عزَّزه علماءُ الأحياء في بحوثٍ مستفيضةٍ، إذ ذكروا فيها بشكلٍ تفصيلي أسبابَ حاجة جسم الإنسان إلى النوم، وإنَّه من أقوى الأسباب المُعينة على تخليص الدماغ من الارتباك والإرهاق والإجهاد، بل ومدعاة لعافيته من بعض الظواهر المرضية التي تعتريه من التوتر والكسل والارتباك والتشتت، وغيرها من الفوائد والآثار المترتبة على النوم، وذكر كل ذلك خارج عن نطاق هذا البحث، ويمكن مراجعتها في مضانها[٦]، ولكنْ المستخلصُ من هذه الدراسات – هو ما يهمنا في هذا البحث – أنَّ الوظائفَ البيولوجية والنفسية التي يحققها النومُ تتمحورُ حول حالة الاسترخاء التام لأعضاء جسم الإنسان، والهدوء والفتور الكامل لأعصابه وخلاياه، ومن هذا الوظيفة الأساسيَّة التي يحققها النوم يمكننا أنْ نعرف علة اختيار القرآن الكريم لهذا اللفظ في مقام الامتنان على الإنسان بنعمة النوم، إذ إنَّنا قلنا سابقاً أنَّ الأصلَ الواحدَ في هذه المادة هو حالةُ استرخاء وفتور توجب سكون الأعصاب وتوقفها عن عمل الحس والحركة، وهذا يُفضي إلى تحقيق راحة الإنسان البدنية والنفسية.

٢/ إنَّ القرآنَ الكريمَ وصف (النومَ) في موردين بالسبات، كما ((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتَاً)) النبأ ٩، والملاحظ أنَّ القرآن لم يصف أيَّاً من ألفاظ النوم الأخرى بالسبات، فلم يعبِّر عن الرقاد والهجوع أو القيلولة بالسبات، وهذا يعني على نحو الاحتمال – أنَّ السبات وصفٌ ملائمٌ للفظ النوم دون غيره من ألفاظ النوم، فـ (السباتُ) مُشتقٌّ من (السبت) الذي يعني القطع[٧]، وهو يدلُّ على ((الاستراحة بعد العمل والفاعلية، وبلحاظ هذا الأصل تستعمل في مفاهيم الانقطاع عن الاكتساب والمعيشة والسكون والنوم الثقيل، والغشية والقعود، وانتهاء العمل والموت))[٨].

و(سبتُ اليهود) انقطاعُهم عن المعيشة والاكتساب، ومنه سُمِّيَ يومُ السبت؛ لفراغ وراحة فيه، وانقطاع عن العمل، وقيل سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ الله تعالى ابتدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد، فخلقها في ستة أيام: فقطع عمله سبحانه يوم السبت[٩]، ومن هنا تعرف أنَّ وصف النوم بالسبات إشارة لطيفة إلى تعطيل قسم من الفعاليات الجسمية والروحية للإنسان عند النوم، فيُعْطَى الجسمُ فرصةً لاستراحة أعضاء البدن لتجديد القوى، وتقوية الروح والجسد؛ لتجديد النشاط ورفع أي نوع من التعب والآلام.

٣/ قيَّدَ القرآنُ نزولَ العذاب في موردين – حال كون المشمولين بالعذاب بأنَّهم نائمون– قال تعالى: ((أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ)) الأعراف ٩٧ ، وقوله تعالى: ((فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ)) القلم ١٩.

إذ يرى البحثُ أنَّ وجه تخصيص نزول العذاب في هذين الموردين بوقت النوم؛ لأنَّ نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفضعُ وحكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة، فالدمارُ يأتيهم في وقت هم نائمون فيه، ولا قوة لهم بمواجهة البأس، والإنسانُ يحسُّ الصدمة العنيفة في مثل هذا الحال بمقدار ما تمثل من مفاجأة مذهلة؛ لأنَّه لا يكون على استعداد نفسي وبدني لذلك المكروه؛ إذ هو في حالة ارتخاء تام للأعصاب وأعضاء الجسم ، بينما لا تكون القضية بهذه المثابة مع ألفاظ النوم الأخرى.

٤/ حين ذكرَ اللغويون أنَّ النومَ غشيةٌ ثقيلةٌ تهجم على القلب فتقطعه عن معرفة الشيء، لذلك صحَّ أنْ يُقَابَلَ النومُ بالموت، فكلاهما يَسلب من الإنسان قدرتَه على التواصل مع الواقع الخارجي، فكان اختيارُ لفظ النوم دون غيره من الألفاظ في قوله تعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)) الزمر ٤٣، لما بين الموت والنوم من التقارب والتشابه بنحو لا يوجد مع غيرهما.

ثانياً: (رَقَدَ):

لا خلاف بين اللغويين على أنَّ مادة (رقد) تدل على النوم، قال ابنُ فارس: (((رقد): أصلٌ واحدٌ يدل على النوم، ويشتق منه، فالرقاد النوم))[١٠]، إلَّا أنَّهم اختلفوا في خصوصيات هذا النوم، أهو النومُ في الليل أم في الليل والنهار، ففي لسان العرب عن الليث: أنَّ (الرقود) يعني (النوم) في الليل[١١].

ونقل صاحب المصباح أنَّ هناك مَنْ يخصُّه بنوم الليل[١٢]، في حين أنَّ هناك مَن رجَّح أن يكون (الرقد) هو (النوم) سواء أكان في الليل أم في النهار، قال الأزهري (ت٣٧٠هـ): ((الراقد والراقود يكون بالليل والنهار عند العرب))[١٣]، وهذا ما رجَّحه الفيومي[١٤].

كذلك اختلفوا في مقدار النوم حين يُسمَّى بالرقد، أهو النوم الكثير أم القليل، فقد رأى الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) أنَّه المستطابُ من النوم القليل[١٥].

وإذا ما عدنا إلى الاستعمال القرآني فإنَّ دلالة النوم لوحظت في موردين الذين ورَد فيهما مادة (رقد)، ففي الموضع الأول جاء في قوله تعالى: ((وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ)) الكهف ١٨، فقد جاءت (رقود) واصفةً حالة النوم لأصحاب الكهف, ولمَّا كان بعضُ اللغويين – كما ذكرنا سابقا – أثبتوا أَنَّ الرقود له دلالة النوم القليل، صار هنا لزاماً عليهم أنْ يجدوا الملحظ البياني في علة اختيار لفظ له دلالة النوم القليل في

مقام النوم الطويل الذي قضاه أصحاب الكهف، والذي حدده القرآن بمدة (٣٠٩) سنة، قال تعالى: ((وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً)) الكهف ٢٥، إذ يرى الراغب الأصفهاني أنَّ إيثار لفظ (الرقود) الدال على النوم القليل قياساً إلى الموت، فقال: ((وإنَّما وصفهم بالرقود – مع كثرة منامهم – اعتباراً بحال الموت؛ وذلك أنَّه اعتقد فيهم أنَّهم أمواتٌ، فكان ذلك النوم قليلاً في جنب الموت))[١٦]، ولكننا حين لا نلتزمُ بتقييد (الرقود) بالنوم القليل – وهو ما يرجحه البحث – عندئذ يكون استعمال (الرقود) مناسباً لحال أصحاب الكهف، أمَّا دلالة النوم الطويل فلا تستفاد من الأصل اللغوي المعجمي للفظة، بل تستفاد من القرائن الأخرى.

وحين نرجع إلى كتب المعاجم نرى أنَّ بعضَ اللغويين لحظوا دلالة الاستقرار والراحة والطمأنينة في دلالة (الرقد)، قال الشيخ حسن مصطفوي: ((إنَّ الأصل الواحد في هذه المادة هو الاستقرار والنوم في حالة الابتلاء والرحمة، أو النوم مع الاستراحة أو ما يشابهها))[١٧].

ونرى أنَّ هذا الملمح اللغوي يناسب مقام أصحاب الكهف، إذ جاء النص القرآني كاشفاً عن حالة الاطمئنان والراحة والاستقرار بعد أنْ أيقنوا العناية الإلهية والتدخل الرباني وشمولهم برحمته، قال تعالى: ((وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً)) الكهف١٦، كما نرى أنَّ الطمأنينة والاستقرار المستفاد من لفظ (الرقود) يُنبئ عن حالة سابقة للراحة هي التعب والشدة والضيق والمعاناة، ولا شكَّ أنَّ هذه هي حالة أصحاب الكهف، فقد كانوا في مواجهة قومهم الكافرين المعاندين، ولا شكَّ أنَّ هذه المجابهة والمواجهة لغالبية قومهم كانت لها ضريبتها القاسية جسدياً ونفسيَّاً على أصحاب الكهف، فقدَّموا التضحيات الكبيرة من أجل إعلاء كلمة التوحيد، وهذا ما كشف عنه الموروثُ الروائيُّ، الذي فصَّل في قصة أصحاب الكهف حين كانوا في موقع المواجهة مع قومهم[١٨]، حتى جاء التدخل الإلهي في إنقاذهم، وكان من مظاهره أنْ رَبَطَ اللهُ على قلوبهم وأرشدهم إلى الكهف، وأبدلهم بعد الشدة والضيق الراحة والاستقرار المتمثل بـ (الرقود) وفقاً للاصطلاح القرآني.

ثالثاً: (سِنَة):

بهذه الصيغة وردت في القرآن الكريم، ويرى اللغويون أنَّ (السِّنة) مُشتقَّةٌ من الوسن، والهاء في (السنة) عوض عن الواو المحذوفة[١٩]، وفسَّر اللغويون (السنة) و(الوسن) بالنعاس، فهما كما ذكر ابن فارس: كلمتان متقاربتان بمعنى النعاس[٢٠]، وهذا ما ذكره الجوهري (ت٣٩٣هـ)، إذ قال: (((الوسن) النعاس، والسنة مثله))[٢١]، وهم حين فسَّروا (السنة) بالنعاس قيَّدوه بعدمِ النوم، قال ابنُ منظور (ت٧١١هـ): ((والسنةُ: النعاسُ من غير نوم))[٢٢].

القول الثاني: ميَّز بعضُ اللغويين (السنة) عن (النعاس)، ورأوا أنَّه أشبه ما يكون بالنعاس، وأنَّه ثقلة النوم، قال الخليل (ت١٧٥هـ): ((وَسَنَ فلانٌ أخذه شبه النعاس))[٢٣]، وبه قال الأزهري: ((الوَسْنة، وَالسَنةُ كـ (عِدَّة)، شدَّةُ النوم))[٢٤].

فالتفتَ اللغويون إلى وجود فرقٍ دلاليٍّ بين السنة والنعاس، قال الطريحي (ت١٠٨٥هـ): ((السنةُ فتورٌ بتقدم النوم، وقيل: ثقلٌ في الرأس، والنعاسُ في العين، والنوم في القلب))[٢٥].

والطريحي لم يُبيِّنْ أيَّهما يكون سابقاً للآخر السنةُ أم النعاس، وهو ما بيَّنه مصطفوي، إذ يرى أنَّ (السِّنةَ) حالةٌ تحصل في مقدمة النوم بعد النعاس[٢٦].

القول الثالث: اكتفى بعضُ اللغويين بتفسير (السنة) و(الوسن) بالغفلة والغفوة، كما صنع الراغبُ الأصفهانيُّ[٢٧]، من دون أنْ يخوضَ في بيان الفرق الدلالي بين ألفاظ النوم الأخرى، والتداخل الحاصل بينها.

وحين نطالعُ ما قاله المفسرون في دلالة (السنة) نجدُ هذه الأقوال التي ذكرها اللغويون حاضرةً عند المفسرين أيضاً، وبالمقاربة بين أقوال المفسرين واللغويين يتجلَّى عندنا رأيان في دلالة (السنة):

الأول: يرى هذا الفريقُ أنَّ (السنة) تمثِّلُ مرتبةً من مراتب النوم، قال البغوي (ت٥١٠هـ): ((السنةُ: النُّعاسُ، وهو النومُ الخفيفُ))[٢٨]، وقال الطوسي(ت٤٦٠هـ): ((السنةُ: النومُ بلا خلاف))[٢٩]، وهذا ما ذكره عددٌ من اللغويين كما ذكرنا سابقاً.

الآخر: إنَّ السِّنةَ ليست مرتبةً من مراتب النوم، وإنَّما حالة تسبق النوم، وهذا ما عليه كثيرٌ من المفسرين[٣٠]، ويُعدُّ قول عدي بن الرقاع مستنداً لتأييد هذا الرأي إذ يقول[٣١]:

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

فالشاعر هنا أثبت (السنة) ونفى النوم، فدلَّ ذلك على المغايرة بينهما لا على الترتب، ولو كانت (السنة) مرتبة من مراتب النوم لما كان هناك لزومٌ من ذكر نوم ونفيه بعد أنْ نفى عنه أدنى مراتبه.

لقد استعملت (سنة) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ((اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ)) البقرة ٢٥٥، إذ نفت الآيةُ عن الله سبحانه وتعالى أمرين: (السنة) و(النوم)؛ لأنَّ كلاً منهما يستلزم الذهول والغفلة والتعب على تفصيل بين (السنة) و(النوم) ذكرناها سابقاً، وهذا كلُّه من صفات الحادث فيكون منفياً بوجوبه من جهة، ولقيوميته من جهة أخرى، وقد نفى اللهُ سبحانه وتعالى عن ذاته المقدَّسة كلا الأمرين؛ لأنَّ القيومية على خلقه تتطلب أن يكون قائماً على تدبير خلقه في الحالات جميعها[٣٢]، فلا مكان للنوم في حقِّه جل وعلا أو الغفلة والتعب.

والسؤال الذي يُطْرَحُ هنا عن علة نفي (السنة) و(النوم) عنه سبحانه وتعالى، وكان بالإمكان الاختصار على نفي (النوم)، إذ به تنتفي (السنة) وزيادة؟

والجواب عن ذلك: إنَّ (السنة) هي مرتبةٌ تسبق النوم، وليست مرتبة من مراتب النوم و((نفي ذلك عنه سبحانه أبلغ في التعبير من نفي مرتبة من النوم نفسه، فنفي ما يقع مقدمة للنوم وليس مرتبة من مراتبه يضفي دقة في المعنى، وقوة في التعبير، ولذلك يكون نفي ذي المقدمة عنه سبحانه – وهو النوم نفسه– من باب أولى))[٣٣].

وسنتعرف على المزيد من دلالة نفي (السنة) عنه عند الحديث عن دلالة تقديم (السنة) على (النوم) في المبحث الثاني .

رابعاً: (قيل):

(القيلولةُ): لفظٌ مُشتقٌّ من (القيل)، ومن اشتقاقاته (القائلة)، ويذهب أكثرُ اللغويين إلى أنَّ (القيلولة) و(القائلة) هي (النوم) في منتصف النهار أو النوم في الظهيرة، قال الأزهريُّ: ((والقائلة نوم نصف الظهيرة))[٣٤]، وذكر الجوهريُّ أنَّ (القيلولة): ((هي النوم في الظهيرة))[٣٥]، وهذا ما ذكره ابنُ منظور، إذ قال: ((القائلة الظهيرة، وقد تكون بمعنى القيلولة وهي النوم في الظهيرة))[٣٦]، إلَّا أنَّ عدداً من اللغويين نفى أنْ تُقيَّدَ (القيلولة) بالنوم في منتصف النهار، فقد نفى ابنُ منظور القول أنَّ (القيلولة) عند العرب والمقيل الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، وإنْ لم يكن مع ذلك نوم[٣٧]، ومستندُ هذا القول هو الاستعمال القرآني كما سنبين ذلك.

وقد استعملَ القرآنُ الكريمُ (القيل) بصيغتين في موردين:

الأول: قوله تعالى: ((وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ)) الأعراف ٤.

والآخر: قوله تعالى: ((أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً)) الفرقان ٢٤.

ففي المورد الأول يرى المفسرون أنَّ (قَائِلُونَ) مأخوذة من (القيلولة)، ونجد هنا أنَّ من المفسرين من رأى أنَّ المادة محتفظة في استعمالها القرآني بدلالة النوم في نصف النهار (وقت الظهيرة)، وإنَّ العذابَ نَزَلَ بهم في وقتين أو حالتين:

الأول: في الليل. والثاني: في وقت النهار، وهم في حالة النيام، فيرى الطباطبائيُّ (ت١٤٠٢هـ) أنَّ آية الأعراف هي ((للإشارة إلى أخذ العذاب إياهم وهم آخذون في النوم))[٣٨]، وهذا ما قاله الشعراويُّ: ((أي: يأتيهم الدمار في وقت هم نائمون فيه))[٣٩].

في حين أنَّ أغلبَ المفسرين لم يشترطوا قيد النوم في الاستعمال القرآني للقيلولة، بل لحظوا فيها وقت الظهيرة، وهو وقت الاستراحة والاسترخاء والدعة في الحر، وسواء أحصل في ذلك نوم أم لم يحصل، وهذا متوافق مع الرأي اللغوي الذي لم يشترط (النوم) قيداً في دلالة (القيلولة) واشتقاقاتها الأخرى، ولذلك نرى أنَّ السَّمينَ الحلبيَّ ينوِّه بهذا الرأي ويستدعيه[٤٠]؛ ليكون له دليلاً على ما تبناه من عدم اشتراط قيد النوم في الاستعمال القرآني للفظ (قائلون) .

والبحث يرجح أنْ يكون اختيار وقت القيلولة لنزول العذاب بغض النظر عن تحقيق الغفلة وعدم التهيؤ؛ لأنَّ الوقت هو وقت الدعة والراحة ، فالمهم – إذن – هو بيان علة اختيار هذا الوقت، وهذه الحالة لنزول العذاب دون غيره من الأوقات، وهذا ما أفاض فيه المفسرون، إذ رأوا أنَّ تخصيص العذاب بالبيات (البيت ليلاً)، و(القيلولة) ((لما أنَّ نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفضع، وحكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة))[٤١].

خامساً : (نعس):

(نَعَسَ يَنْعَسُ) من باب (قَتَلَ) والاسم (النُّعاس), وبهذه الصيغة جاء الاستعمال القرآني, وحين نطالع كتب المعاجم نجد من اللغويين مَن يُفسِّر (النعاس) بـ (الوَسن): وهي أقل النوم– كما سنبين ذلك لاحقاً– قال ابن فارس: ((نعس أصل يدل على وسن))[٤٢].

وهناك مَن يرى (النعاس) هو أن يحتاج الإنسان إلى النوم, ثم الوَسَن, وهو ثقل النعاس[٤٣]، وهناك مَن فسَّر (النعاس) بالنوم القليل[٤٤].

والواقع أنَّ اللغويين حين فسَّروا (النعاس) بـ(السنة) أو بـ(النوم)، فلا نظنُّ أنَّهم أغفلوا الفرق الدلالي بين هذه الألفاظ، أو أنَّهم لم يلحظوا خصوصية كل لفظ, وإنَّما يصدر منهم ما يوهم خلاف ذلك؛ لغرض التوضيح وتقريب معنى اللفظ بأيسر ما أمكنهم ذلك, فهم معنيون بتقريب دلالة اللفظ أكثر من غيره, في حين أنَّ المفسرين كانوا معنيين ببيان خصوصية كل لفظ، لما له من أثر بالغ في الكشف عن أسرار النص القرآني وإعجازه البياني.

فالقرآنُ الكريمُ استعمل (النعاس) في موردين:

الأول: قوله تعالى: ((ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسَاً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ)) آل عمران ١٥٤ .

والآخر: قوله تعالى: ((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً)) الأنفال١١، وفي كلا الموردين عكس (النعاس) التدخلَ الإلهيَّ والعناية الربانية للمسلمين, ففي المورد الأول ووفقاً للسياق

التاريخي[٤٥] فإنَّ المسلمين بعد معركة أحد كانوا يعيشون واقع الهزيمة والندم والشعور بالتقصير, فألقى اللهُ عليهم الإحساسَ بالنعاس؛ ليعيشوا الإحساس بالأمن والطمأنينة، فتتجدد لهم طاقاتُهم التي أتعبها الجهد، وتصفو أفكارُهم التي كدرها الألم، وترتاح أعصابُهم التي أرهقها الانفعالُ[٤٦], فهم بذلك ((قد استجدوا نشاطهم, ونسوا حزنهم؛ لأنَّ الحزنَ تبتدئ خفته بعد أول نومه تعقبه, كما هو مشاهد في أحزان الموت وغيرها))[٤٧].

وفي المورد الثاني عكس (النعاس) أيضاً جانباً من العناية الربانية بالمسلمين قبيل معركة بدر, إذ المسلمون يشعرون بالخوف؛ لقلَّتهم وكثرة المشركين فـ ((كان النعاسُ أمناً لهم؛ لأنَّهم لما ناموا زال أثر الخوف من نفوسهم في مدَّة النوم, فتلك نعمةٌ، ولمَّا استيقظوا وجدوا نشاطاً, ونشاط الأعصاب يُكسبُ صاحبه الشجاعةَ، ويزيل شعور الخوف الذي هو فتور الأعصاب))[٤٨].

والسؤالُ المطروحُ هنا لِمَ آثرَ القرآن لفظ (النعاس) دون ألفاظ النوم الأخرى؟

ويجدُ البحث أنَّ الاستعانةَ بالملحظ اللغوي للفظ (النعاس) يوقفنا على الدلالة البيانية للاستعمال القرآني لهذا اللفظ.

إذ عرفنا سابقاً أنَّ النعاسَ يدلُّ على النوم الخفيف, أو هو المرحلة التي تسبق النوم لما فيها من ارتخاء الأعصاب, وهذه الدلالة اللغوية تناسب مقام الاستعمال القرآني, وفي الموردين كليهما، إذ لا يقصد القرآنُ– والله العالم– حصول حالة الامتلاء من النوم عند المسلمين, فالنعاسُ ((يزيل التعب، ولا يغيب صاحبه، فلذلك كان أمنةً، إذ لو ناموا نوماً ثقيلاً لأُخِذُوا))[٤٩].

وهذا ما تؤكده الروايات التأريخية, إذ تشير الروايات أنَّهم لم يكونوا في حالة نوم عميق, فقد روي عن الزبير أنَّه قال: ((كنتُ مع النبي [صلَّى اللهُ عليه وآله] حين اشتدَّ الخوف، فأرسل اللهُ علينا النومَ لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني))[٥٠].

وروي عن أحد الصحابة قوله: ((غشينا النعاسُ ونحن في مصافِّنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه, ثم يسقط فيأخذه))[٥١].

فالنوم إذنْ لم يغلبهم تماماً, وإنَّما عاشوا حالة فتور الأعضاء, واستراحة البدن والمفضية إلى حصول السكينة والأمن والطمأنينة, فكان تخصيصُ النعاس أليق بحالتهم ومقامهم, فيما يُلحظ أغلب ألفاظ النوم الأخرى دلالة الامتلاء من النوم، وهي دلالة لا تناسب السياق القرآني.

سادساً: (هجع):

يرى أكثرُ اللغويين أنَّ الهجوعَ هو النومُ في الليل، قال ابنُ فارس: ((هجع: كلمة تدل على نوم، وهجع هجوعاً نام ليلاً))[٥٢]، وهذا ما ذكره الأصفهاني، إذ قال: ((الهجوع: النوم ليلاً))[٥٣]، وهذا ما عليه أغلب اللغويين[٥٤]، وخالف في ذلك بعضُ المحدثين منهم المصطفوي، إذ لا يرى في (الهجوع) قيد النوم بالليل ((فمفهوم المادة لا اختصاصَ فيه بالنوم ولا بالليل))[٥٥].

وأضاف بعضُ اللغويين قيدين آخرين في دلالة الهجوع في اللغة، إذ خصص (الهجوع) بالنوم الخفيف بعد أول الليل، إذ ذكر الأزهري والجوهري وابن منظور وغيرهم أنَّ (الهجعة) النومة الخفيفة بعد أول الليل[٥٦].

ولم ترِدْ مادةُ (الهجوع) في القرآن الكريم إلَّا في مورد واحد, إذ ذُكِرَتْ وصفاً للمتقين, قال تعالى: ((كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)) الذاريات ١٧.

إذ يرى أكثرُ المفسرين أنَّ القرآن أثبتَ صفة (الهجوع) للمتقين والمحسنين على أنْ تكون (ما) إمَّا زائدة، و(يهجعون) خبر (كانوا)، أو تكون موصولة، والتقدير: (كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعون فيه), أو (ما) مصدرية، والتقدير: (كانوا قليلاً من الليل هجوعهم)[٥٧], ووفقاً لهذه التقديرات يكون المعنى: إنَّ الليلَ القليلَ ((إمَّا مأخوذ بالقياس إلى مجموع زمان كلِّ ليلة، فيفيد أنَّهم يهجعون كلَّ ليلةٍ زماناً قليلاً منها ويُصلّون أكثرها, وإمَّا مأخوذٌ بالقياس إلى مجموع الليالي، فيفيد أنَّهم يهجعون في قليلٍ من الليالي، ويقومون للصلاة في أكثرها، أي: لا يفوتهم صلاة الليل إلا في قليل من الليالي))[٥٨].

ولكن يبقى السؤالُ هنا: لِمَ آثرَ القرآنُ الكريمُ اختيار لفظ (يَهْجَعُونَ) دون غيرها من الألفاظ الدَّالة على النون؟ وبتعبيرٍ آخر: هل نجدُ في هذا الاختيار ملحظاً بيانياً ودلالياً؟

وفي مقام الجواب عن ذلك نقول: إنَّنا حين نوافق اللغويين الذين لحظوا دلالة النوم الخفيف والقليل في لفظ (الهجوع)، يتبيَّنُ لنا أنَّ القرآنَ اختار هذا اللفظ لِيُبيّنَ أنَّ المتَّقي يجاهد في جميع أوقاته، ويسهر في أكثر لياليه, وهؤلاء المتقون في شغل عن النوم لاهتمامهم بعبادة الله, وهم على استعداد دائمٍ للتضحية بالراحة التي يجلبها النوم إلى أجسادهم، لينفتحوا على آفاق روحية جديدة بالبعد عن الضجيج النهاري الذي يشغل الإنسانَ عن التأمل في نفسه, كما يبعده عن معرفة عمق شعوره وفكره ووجوده[٥٩], فهم لا ينامون في ليلهم إلا يسيراً ((يأنسون بربهم في جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويقف فيهم التطلع فلا يثقلهم المنام))[٦٠].

فجاء التعبيرُ بـ (الهجوع) دون غيره من ألفاظ النوم؛ لبيان المبالغة في تقليل نومهم, فنفوسهم وقلوبهم مشدودة إلى عبادة الله, وتجد راحتها في الانقطاع إليه, والنوم الخفيف القليل المستفاد من لفظ الهجوع،

يُجسِّدُ حالة هؤلاء المتقين في عدم ميلهم إلى النوم وخلودهم إلى الراحة, بل في ذكرٍ دائمٍ لله سبحانه وتعالى.

المبحثُ الثَّاني

الدَّلالةُ التركيبيَّةُ في استعمال ألفاظ النوم

حين تتبعنا ألفاظ النوم في النص القرآني, استوقفتنا ظاهرتين تركيبتين:

الأولى: ظاهرة التقديم والتأخير.

والأخرى: ظاهرة التعريف والتنكير.

لذا سنقتصر في هذا المبحث على بيان دلالة هاتين الظاهرتين.

أولاً: التقديم والتأخير.

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ تغيّر مواقع الألفاظ في الجملة له ما يسوغه من الناحية المعنوية والدلالية، فـ ((الألفاظ إذا كانت أوعيةً للمعاني فإنَّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها, فإذا وجب أن يكون المعنى أولاً في النفس، وجب اللفظ الدال عليه أنْ يكون مثله أولاً في النطق))[٦١].

فالتَّغيُّرُ في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغيرٌ في الدلالة، وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر, لذلك راح اللغويون والبلاغيون في البحث عن القيم البلاغية المستفادة من التغيير الحاصل في النظام التركيبي للجملة (التقديم والتأخير)، فأشاروا إلى أغراض متعددة منها:

(الاختصاص, الحصر, العناية والاهتمام، والحفاظ على نظم الكلام)، وغيرها من الأغراض التي أدرجها البلاغيون في كتبهم[٦٢].

وإذا كان التقديم والتأخير يمثلُ ظاهرة أسلوبية بارزة في الكلام البشري، فإنَّه في القرآن يمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز القرآني, فقد بلغ القرآنُ في هذا الفن كما في غيره الذروةَ في وضع الكلمات التي تستحقه في التعبير، بحيث تستقر في مكانها المناسب فـ ((التقديم والتأخير في عبارة القرآن يحمل مغزاه العميق, ويضع المعنى في مكانه المحدد وتربطه بأبعاد المعنى للآية))[٦٣].

فكُلُّ تغيُّرٍ في النص القرآني ينتج أغراضاً دلاليةً تنسجم والسياق القرآني, فالقرآن ((لم يقدم لفظة على لفظة إلا لغرض يقتضيه السياق, وقد روعي في ذلك التعبير القرآني كله ونظر إليه نظرة واحدة شاملة))[٦٤].

إنَّ التقديمَ في القرآن الكريم على نوعين:

الأول: تقديم اللفظ على عامله, كتقديم المفعول به على فعله, والحال على عامله, والظرف والجار والمجرور على فعلهما, وتقديم الخبر على المبتدأ، ونحو ذلك, وتقديم ما حقُّه التأخير وتأخير ما رتبته التقديم، وهذا ليس جُزافاً أو اعتباطاً, بل للتقديم في موضعه ورتبته أغراض ومعاني إلتزم بها التركيب, فالخبر لا يتقدم على المبتدأ, والفاعل لا يتقدم على الفعل إلا في أحوال خاصة يقتضيها التعبير.

الآخر: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل, والذي يحكم هذا التقديم هو المقام وسياق القول, ويرى د. فاضل السامرائي أنَّ هذا النوع من التقديم إنَّما يكون للعناية والاهتمام, فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام, والعناية باللفظة لا تكون من حيث إنَّها لفظة معنية، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال(٦٥).

ويرى البحث أنَّ هذا النوع من التقديم حين نتتبعه في القرآن الكريم نجده أوسع من أنْ نَحدَّه ونحصره بغرض واحد، وهو العناية والاهتمام, بل نجدُ أغراضاً وأهدافاً أخرى، وليس هذا مقام بحثها.

وسنحاول هنا أنْ نكشفَ عن أسرار التعبير القرآني في أسلوب التقديم والتأخير بنوعيه في ضوء استعمال ألفاظ النوم وترتيبها المقصود.

ففي النوع الثاني من أقسام التقديم يطالعنا السؤال عن علة تقديم القرآن للفظ (السِّنَة) على (النوم) في قوله تعالى: ((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)) البقرة ٢٥٥ ، وقد أصبح هذا السؤال مُلِحَّاً حين شَابَ هذا التقديم إشكالٌ وتساؤلٌ مفاده: إنَّ تقديم (السنة) على (النوم) قياسٌ على خلاف المبالغة التي تقتضي نفي الحالة الشديدة (النوم) ابتداءً، ثُمَّ نفي الحالة الضعيفة (السنة) للمبالغة.

وقد أجاب المفسرون والباحثون في الشأن القرآني عن علة تقديم (السنة) على (النوم) بأجوبةٍ متعددة منها:

١/ إنَّ (السنة) وهي (النعاس) قُدِّمَت على (النوم)؛ لأنَّها تسبقه, فبدأ بـ(السنة) ثم (النوم)(٦٦), فتقديم (السنة) جاء وفقاً لترتيب الوجود, فهي سابقة وجوداً على (النوم)، وهذا متوافق مع القياس الذي يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

والواقع إنَّ هذا الجواب يواجهه إشكالٌ: إذ إنَّ التدرج من الأدنى إلى الأعلى إنَّما يصحُّ في الكلام المثبت, إذ يُقال: (أكرَمَ زيدٌ عمراً بعشرة دراهم بل بعشرين), أمَّا في النفي فعلى العكس تماماً، إذ يُقال: (لم يُكرمْ زيدٌ عمراً بعشرة دراهم ولا بدرهم واحد)(٦٧), ونحن نقولُ: (زيدٌ لم يستطعْ أنْ يشتري عشرة أقلام ولا خمسة), ولا نقول: إنَّه لم يستطع أنْ يشتري خمسة أقلام ولا عشرة؛ لأنَّه إنْ كان لا يقدر أنْ يشتري عشرة، فمن باب أولى

إنَّه لا يقدر أنْ يشتري عشرة, فالكلام بهذه الصورة يكون معدوم الفائدة, فإذا كان (النعاس) وهو (السنة) لا تأخذُ اللهَ سُبحانه وتعالى ومنفيَّةً عنه, فمن باب أولى يكون النوم منفياً عنه, فكان يقتضي تقديم (السنة) على (النوم).

٢/ هناك مَنْ تنبَّه إلى هذا الإشكال فالتجأ إلى التقدير, فأصبحت الآية عنده بتقدير: (لا تأخذه سنةٌ فضلاً عن أنْ يأخذه نوم)[٦٨]، وقريب من هذه الإجابة ما ذكره السيد الطباطبائي، إذ يرى أنَّ الترتيب المذكور لا يدور مدار الإثبات والنفي دائماً, بل المراد صحة الترقي, وهي مختلفة بحسب الموارد, ولمَّا كان أخذ (النوم) أقوى تأثيراً وأضرَّ على القيومية من (السنة) كان مقتضى ذلك أنْ ينفي تأثير (السنة) وأخذها أولاً, ثُمَّ يترقَّى إلى نفي تأثير ما هو أقوى منه تأثيراً، فيكون معنى (لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ) شبيهاً بقولنا: (لا يؤثِّر فيه هذا العاملُ الضعيفُ بالفتور في أمره ولا ما هو أقوى منه)[٦٩].

٣/ إنَّ الأخذَ في الآية هو بمعنى الغلبة والقهر، واللازمُ عندئذٍ التدرجُ من الداني إلى العالي, فالآية هي بصدد تنزيهه سبحانه عن كلِّ ما يوجب الغفلة, مثلاً لو فرضنا: (أنَّ زيداً أشجعُ من عمر)، وأراد المتكلم أنْ يصفَ شجاعته الفائقة، فيقول: (ما غلبني عمرُ ولا زيدٌ), فيُقدِّم الضعيف على الشجاع، ولو عكس يكون مستهجناً، ويكون ذكر الضعيف زائداً[٧٠], فليس المرادُ من الأخذ في الآية الاعتداء والعروض، وإنَّما المراد من الأخذ هو القهر والغلبة.

فدقَّةُ استعمال النص القرآني في اختياره لمواقع ألفاظه تتجلَّى بشكلٍ أوضح في ضوء المتشابه القرآني, إذ يرد الأسلوب مرتين: الأولى بالتقديم والثانية بالتأخير, فالقرآنُ يُقدِّمُ كلمةً في موضع، ثمَّ يؤخرها في موضع آخر, وهذا ليس أمراً اعتباطياً, بل الحكمة اقتضت ذلك, وعليه فالكشف عن هذا الأسلوب القرآني يُعدُّ من ((اعجازات التوظيف في النص القرآني, وأهمية هذا الشكل من التقديم والتأخير تكمن في كون أيِّ محاولة للوقوف على أسراره في التوظيف القرآني من المؤكد أنَّها ستفضي بنا إلى ولوج باب من الفهم التأملي الذوقي للنص القرآني))[٧١].

وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم, وشاهدها في ألفاظ النوم (نعاساً)، إذ جاءت في موضعٍ متأخرةً عن لفظة (أَمَنَةً) قال تعالى :((ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُم)) آل عمران ١٥٤، في حين أنَّها في موضع آخر تقدَّمت على (أَمَنَةً)، إذ قال تعالى: ((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً)) الأنفال١١.

ففي الموضع الأول (أَمَنَةً) و(نُعَاساً)، وفي الموضع الثاني (النُّعاسَ) و(أَمَنَةً), وما ذلك إلَّا لاختلاف الحالتين المستتبع لاختلاف السياقين, ففي الموضع الأول كانت الآيةُ تتحدَّث عن المقاتلين في غزوة أحد بعد أنْ أصابهم الغمُّ في هذه الغزوة, وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون الملتفون حول رسول الله (صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم)، لذلك فـ(النعاس) غشي طائفة واحدة منهم, وكان مقتضى الظاهر كما يرى ابنُ عاشور أنْ يُقدّم (النعاس) ويؤخر (أَمَنَةً)؛ لأَنَّ (أَمَنَةً) بمنزلة الصفة، أو المفعول لأجله، فحقُّهُ التقديم على المفعول, ولكنَّه قدَّم (أَمَنَةً) هنا تشريفاً لشأنها؛ لأَنَّها جُعِلَت كالشيء المُنزَّل من الله لنصرهم, فهو كالسكينة فناسب أنْ يُجعل (أَمَنَةً) مفعولَ (أَنْزَلَ) ويجعل (النعاس) بدلاً منه(٧٢), فهم بحاجة ماسة إلى النصر, والأمن فيه سكينةٌ واطمئنانٌ للنفس أكثر من النعاس, فالنعاس يُخشى منه أنْ يكون نوماً ثقيلاً، وعندئذ يؤخذون على حين غرَّةٍ, فلا يتحققُ لهم النصر، فكان في تقديم الأمن تحقيقٌ للنصر، وإبعادٌ لما من شأنه أنْ يخالف ذلك، فيحرمون من النصر فهم ((في (أُحدٍ) كانوا أحوج إلى الأمن من يوم بدر؛ لشدَّة الدهشة والذعر فاقتضى تقديم الأمن في هذه الآية المباركة))(٧٣).

وهذا بخلاف المورد الثاني الذي كان في سياق المقاتلين في بدر, حيث كان الجميع على قلب واحد, والإيمان يملأ قلوبهم جميعاً ولا يوجد بينهم منافق أو مرتاب, فغشي (النعاس) الجيش كله, فهم يحتاجون إلى شيءٍ من الاسترخاء وفتور الأعصاب، فترتاح أبدانهم فيزول الخوف عنهم, وبذلك يتحقق الأمن والطمأنينة لهم, فكان تقديم (النعاس) هو المناسب لحالهم.

أمَّا القسم الآخر من أقسام التقديم المتمثل بتقديم المعمول على عامله، فشاهده في ألفاظ النوم قوله تعالى: ((كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)) الذاريات ١٧، فـ (قَلِيْلَاً) ظرفُ زمان متعلقٍ بـ (يَهْجَعُونَ)(٧٤)، والتقدير: كان هجوعُهُم من الليل قليلاً, وهنا يردُ السؤالُ عن علَّةِ تقديم (قَلِيْلَاً) مع أنَّ رتبته التأخير؟

وأوَّلُ ما يمكن أنْ يُجاب عنه: هو أنَّ هذا التقديم جاءَ للحفاظ على نسق الفاصلة القرآنية، إذ جاءت لفظة (يَهْجَعُونَ) المنتهية بصوت النون منتظمةً مع فواصلَ متعددة سابقةٍ ولاحقةٍ عليها بفاصلة النون أيضاً: (الخَرَّاصُونَ), (يُفْتَنُونَ), (تَسْتَعْجِلُونَ), (عُيونَ), (مُحْسِنِينَ), (يَسْتَغْفِرُونَ), (يَهْجَعُونَ), (يَسْتَغْفِرُونَ), وتقديمُ (يَهْجَعُونَ) وفقاً لترتيبها النحوي يُفقدنا الاستمتاع بلذَّة الشحنة الموسيقية التي أضفتها الفواصلُ القرآنيةُ المتناسقةُ فـ ((البيان القرآني في المقام الأول من حيث انسجام النغم الموسيقي، وتوافق وقع الألفاظ في القرآن الكريم مع ما تشوق إليه نفوسُ العرب وتهفو إليه أسماعُهم, وهم المُولَعون بسحر العبارة الناشدون

تحقيقها, لذا نجدُ النَّسقَ القرآنيَّ لم يقف عند القواعد الشكلية في التقديم والتأخير، بل تجاوزها ليؤديَ وظيفة موسيقى العبارة, فتفضي عليها روعة وجاذبية))[٧٥].

ولكنَّنا نعرف أنَّ الفاصلة القرآنية مثلما أنَّ لها وظيفةً موسيقيةً, كذلك لها وظيفةٌ معنويَّةٌ فـ ((الفاصلة القرآنية تردُ وهي تحمل شحنتين في آنٍ واحدٍ, شحنة من الواقع الموسيقي, وشحنة من المعنى المتمم للآية))[٧٦].

لذلك لزم علينا أنْ نبحث عن الوظيفة المعنوية التي حققها تأخير العامل عن معموله, وقد تنبَّه الرازيُّ (ت٦٠٦هـ) إلى العلة التعبيرية من تقديم (قَلِيْلاً) على معموله (يَهْجَعُونَ)، إذ رأى أنَّ (الهجوع) كان راحة لهم, وكان المقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله تعالى, ولو قال: (كانوا يهجعون من الليل قليلاً)، لزم منه أنْ يكون المذكور أولاً راحتهم، ثمَّ وصف هذه الراحة بالقلة, وربَّما يَغفلُ الإنسانُ السامعُ عمَّا بعد الكلام، فيقول: إنَّ إحسانهم وكونهم محسنين بسبب أنَّهم يهجعون, وإذا قدَّمَ (قَلِيْلاً) يكون السابق إلى الفهم قلةُ الهجوع، فهناك فرقٌ بين أنْ تقول: (فلانٌ قليلُ الهجوع)، و(فلانٌ هجوعُهُ قليلٌ)، فالأول يفيدُ قلةَ الهجوع, والثاني يُفيد بيانَ الهجوع بوصف القلة أو الكثرة, فإنَّ الهجوعَ لو لم يكن لكان نفي القلة أولى, ولا كذلك قلة الهجوع؛ لأنَّها لو لم تكن لكان بدلها الكثرة في الظاهر[٧٧].

الآخر: التَّعرِيف والتَّنكير

مثلما أولى القرآنُ الكريمُ عنايته في انتقاء المفردة في إطار التقديم والتأخير, كذلك نهجَ القرآنُ منهجاً فريداً في انتقاء المفردة في إطار التعريف والتنكير, وما تنوع التعريفُ والتنكيرُ في القرآن إلا قصداً لدلالات بعينها, ويخضعُ هذا التنوعُ في خصوصيته لمحددات السياق النصي, وفنيات التوظيف الجمالي, فاختيار كلِّ نوع يأتي لدواعٍ بلاغية ودلالية, كانت مدار اهتمام البلاغيين واللغويين بنحو لا يسعنا في هذا المقام أنْ نعرضَ مساهماتهم في بيانها وتوضيحها, وإنَّما هدفنا هنا بيانُ بعض الملامح الأسلوبية والقيم التعبيرية لهذه الظاهرة في خصوص استعمال القرآن لألفاظ النوم.

طالعنا القرآنُ باستعمال مفردتي (السنة) و(النوم) منكَّرتين, قال تعالى ((لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ)) البقرة ٢٥٥، فَلِمَ عَدلَ القرآنُ عن التعريف إلى التنكير، فلمْ يقلْ: (لا تأخُذُه السِّنةُ ولا النَّومُ)، ولا يستبعد البحثُ أنْ تكون دلالة التحكيم هي العلة في التعبير بالنكرة, إذ إنَّ واحداً من دواعي التنكير هو: ((إفادة عموم الشيء وإطلاقه))[٧٨]، فالآية– والله العالم– تقصدُ إفادة الإطلاق والعموم في نفي (السنة) و(النوم) عنه, إذ لا تعتريه سبحانه وتعالى بأيِّ نحوٍ من الأنحاء، قليلاً كان أو كثيراً، لا استثناء في ذلك مطلقاً, ففي هذا التنكير

((تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير, وإثبات لكمال العلم))[٧٩]، فهذه الآية هي جملةٌ سلبيَّةٌ مؤكدة للوصف الإيجابي السابق في قوله سُبحانه: ((اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)) البقرة ٢٥٥ ، فإنَّ قيامه على كلِّ نفس بما كسبت, وعلى تدبير شؤون خلقه, يقتضي ألَّا تعرض له غفلة قط[٨٠], ودلالة هذا الإطلاق يستفاد من التنكير, ولعل استبدال التنكير بالتعريف بحسب الفرض في السؤال السابق، يوهم المتلقي بأنَّ المنفي عنه سبحانه وتعالى حصة محددة ومعينة من الغفلة والنوم، تعيناً عهدياً أو ذكرياً بحسب ما يفيده التعريف.

وإنَّ رصدَ التعريف والتنكير في ضوء المتشابه اللفظي– كما هو الحال في التقديم والتأخير– يكشف لنا جانباً قوياً عن إعجازه التركيبي, إذ كثيراً ما يستعمل القرآن الكريم اللفظة على صورتين: مرَّة بصورة التعريف، وأخرى بصورة التنكير, ومن ذلك استعماله لـ (السلام) و(سلام)، و(الماء) و(ماء)، و(البلد) و(بلد)، و(المغفرة) و(مغفرة)، وغيرها كثير[٨١], وهو قائم على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز, ويكشف لنا عن سرٍّ مستورٍ, أو كنزٍ مخبوءٍ من كنوز التعبير القرآني.

فقد ورَدَ متشابه التعريف والتنكير في ألفاظ النوم في مورد واحد, وذلك في استعمال لفظة النعاس, إذ جاءت نكرةً في قوله تعالى: ((ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً)) آل عمران ١٥٤، وجاءت مرة أخرى معرفةً بـ (ال) في قوله تعالى: ((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء)) الأنفال ١١.

وفي مقام الإجابة نرى أنَّ تنكيرَ (نُعَاسَاً) كما ورد في المورد الأول له مُسوّغٌ نحويٌّ, إذ إنَّ (نُعَاسَاً) هو بدلٌ من (أمنة) على أشهر الوجوه[٨٢], وإذا ما عرفنا سرَّ التعبير بـ (أَمَنَةً)، وعلَّةَ مجيئها نكرةً، نكون قد اقتربنا من معرفة سرِّ تنكير (نُعَاسَاً)؛ ذلك لأنَّ البدلَ هو عينُ المبدل منه.

وأقربُ الوجوه في تفسير (أَمَنَةً) أنَّها مصدرُ مرَّةٍ بمعنى (الأمن), أي أنَّ هذه الطائفة من المؤمنين قد حصل لهم الاطمئنانُ بعد الغمِّ والخوف الذي أصابهم[٨٣], عندئذ نعرف كم كان هذا الأمنُ عظيماً ومهمَّاً للمؤمنين, إذ كان الأمنُ والنعاسُ معجزةً خاصَّةً للطائفة المؤمنة، وإنَّ اللهَ أظهر قدرته وعنايته بهم في إنزال ما يوجب السكون والطمأنينة والأمن, فإفادة التنكير للتعظيم هو الأقربُ دلالياً لمقتضيات المقام, ووجه إفادة التعظيم في التنكير؛ لأنَّه يكون في العظمة، وعلو المقدار بحيث لا يعرف كنهه, ولا يبلغ مقداره, كقوله تعالى: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) البقرة ١٧٩, إذ جاء تنكيرُ (حَيَاةٌ) للتعظيم, أي أنَّ لكم في هذا الحكم (القِصَاصِ) حياةً عظيمةً لا يُبلغ كنهها[٨٤], ومثله تنكير (جَنَّاتٍ) في قوله تعالى: ((وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)) البقرة ٢٥، وتنكير (هُدًى) في قوله تعالى: ((أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) البقرة ٥، وغيرها من الموارد التي جاءت

فيها الفكرة للدلالة على التعظيم, وإفادة التعظيم في (أَمَنَةً) مُشابهٌ لهذه الموارد القرآنية, فهو أمنٌ عظيمٌ، وتبعه– وفقاً لقاعدة البدل– نعاسٌ عظيمٌ؛ لأنَّهما كانا نعمتين إلهيتين للفئة المؤمنة المخلصة.

وتُلمَحُ كذلك دلالة العموم في تنكير (أَمَنَةً)، و(نُعَاسَاً) بالإضافة إلى دلالة التعظيم؛ لأنَّ الأغراض البلاغية تتداخل فيما بينها تبعاً لمقتضيات السياق, فـ ((الأمن والهدوء استوليا عليهم فور توثيق الناس, وأخذ دبيب الكرى بمقاعد أجفانهم))[٨٥].

أمَّا علَّةُ مجيء النعاس معرَّفاً في الموضع الثاني: ((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ)) الأنفال١١.

إذ يرى البحث أنَّ هذا التعريف جاء لإفادة العهد الذهني، إذ إنَّ (ال) التعريف قد تأتي لإفادة أنَّ مدخولها معلوماً عند المتكلم والمخاطب بسبق معرفة[٨٦], كأنْ يكون بينك وبين صديق عهدٌ في كتاب ما فتقول له: (اقرأ الكتاب)، تريد الكتاب الذي يعرفه, ولعلَّ هذا هو المناسب لتعريف (النعاس), إذ إنَّ وروده مُعرَّفاً جاء في سياق تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، قال تعالى: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ)) الأنفال ٩ ، أي: اذكروا حين كنتم تستغيثون, فالقرآنُ يُحيل أذهانهم إلى ذلك الموقف التأريخي الذي كَشفَ عن عناية الله بهم, ثُم يقول لهم :((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ)) الأنفال١١، فيحيل أذهانهم أيضاً باستذكار لطف الله بهم, وعنايته بهم حين غشاهم النعاس, فهو نُعاسٌ معهودٌ في أذهانهم، تستحضره ذاكرتُهم, فلم يكن نعاساً كأيِّ نعاسٍ, بل هو ممَّا حصَلَ به الطمأنينة والنصر.

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة على موضوع (ألفاظ النوم في القرآن) يحسنُ بنا أنْ نُوجزَ النتائجَ، ونُعرِّفَ القارئ بأهمِّ ما توصل إليه البحث، وعلى النحو الآتي:

١/ إنَّ الألفاظَ التي أوردناها في متن البحث ليست كلُّها دالَّةً على (النوم) كما ذكر كثيرٌ من اللغويين, بل إنَّ بعضها يدلُّ على ما هو سابق على النوم كلفظة (السنة)، وبعضها يعدُّ (النوم) واحداً من مصاديقها, إذ هي تشمل (النوم) وغيره, والمحدد للدلالة الدقيقة القرائن اللفظية والمقامية.

٢/ دلَّ البحثُ على أنَّ هذه الألفاظ – وإنْ كان عددٌ منها يشترك في دلالة واحدة– يلحظُ الاستعمالُ القرآنيُّ الفرقَ الدلاليَّ الدقيق بين هذه الألفاظ, فيستعمل كلَّ لفظة في مكانها المناسب، بحسب ما يقتضيه السياق, وإنَّ الألفاظَ الأخرى لا يمكنها أنْ تقوم مقامها، لما في هذه اللفظة من ملحظٍ دلالي يناسب السياق لا يتوفَّرُ في الألفاظ الأخرى.

٣/ مثلما كان القرآن الكريم دقيقاً في اختيار كلِّ لفظةٍ من ألفاظ (النوم) بحسب دلالتها المناسبة, فهو كذلك دقيقٌ في مراعاة أنْ تكون كلُّ لفظةٍ قد أخذت موقعها التركيبي الدقيق والمناسب بنحو لو تغيَّرَ موقعُها لأفضَتْ إلى دلالة أخرى قد لا تنسجم ومقتضيات المقام.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د٠ت.

٢/ أساليب المعاني في القرآن، جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان، قم ١٤٢٧هـ.

٣/ أسباب النزول، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الهيثم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٤/ الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، تونس، ١٩٨٠م.

٥/ إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد الدرويش (ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد، سوريا، ط٤، ١٤١٥هـ.

٦/ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة، ط٢، ٢٠٠٩هـ.

٧/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٨/ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت٧٢٩هـ)، اعتنى به وراجعه: عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٣، بيروت– لبنان، د. ت.

٩/ تأريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ضبط وتصحيح: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، ط٣، القاهرة، ١٩٥٣م.

١٠/ التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق: أحمد قصير العاملي، وأحمد شوقي الأمين، المطبعة العلمية، النجف الأشرف ١٩٥٧م – ١٩٦٣م.

١١/ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ .

التحقيق في كلمات القرآن، الشيخ حسن مصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ط١، ١٣٨٥هـ.

١٢/ التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية، د. عبد العليم بو فاتح، دار التنوير، الجزائر، ط١، ٢٠١٣م.

١٣/ التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.

١٤/ التعبير القرآني: د٠ فاضل صالح السامرائي، دار عمان– الأردن، ١٩٩٨م.

١٥/ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٦/ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٧/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري (٣١٠هـ) ، تحقيق: د. عبد الله بن الحسن التركي، دار هجر للطباعة، ط١، ٢٠٠١م.

١٨/ جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، د. أسامة عبد العزيز جاب الله، عالم الكتب الحديث، أربد– الأردن، ٢٠١٣م.

١٩/ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ت.

٢٠/ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

٢١/ ديوان عدي بن الرقاع العاملي، جمع وشرح ودراسة: د. حسين محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

٢٢/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين محمد بن عبد الله الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٣/ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت– لبنان، ١٩٩٩م.

٢٤/ العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د٠ مهدي المخزومي، ود٠إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت.

٢٥/ الفروق الدلالية في الأسلوب القرآني، د. حسين عودة، مطبعة البصائر، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

٢٦/ في ظلال القرآن، سيد قطب (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٢٧/ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط٨، ٢٠٠٥هـ.

٢٨/ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ.

٢٩/ مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: علي الحسيني، منشورات دار الثقافة العربية، مطبعة الآداب، النجف، د. ت.

٣٠/ مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣١/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د. ت.

٣٢/ معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر، ط٤، ١٩٩٧م.

٣٣/ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٣٤/ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات ذوي القُربى، قم، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٣٥/ المناهج التفسيرية في علوم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣٦/ منطق فهم القرآن، السيد كمال الحيدري، بقلم: د. طلال الحسن، مؤسسة أم أبيها، ط١، بيروت– لبنان ٢٠١٢ .

٣٧/ من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، منشور ضمن برنامج بينات على صفحة الانترنت Arabic.bayynat.org

٣٨/ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الديوان، النجف الأشرف، ط٣، ١٩٨٩م.

٣٩/ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي،ط١، بيروت ١٩٩٧م.

الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (نوم).
(٢) المصباح المنير مادة (نوم).
(٣) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن مادة (نوم) ٨٣٠ .

(٤) منطق فهم القرآن ٢/ ١٦٠ .
(٥) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور ٩/ ١٩ .
(٦) يُنظر على سبيل المثال: (النوم بين التعاليم الإسلامية والبحوث العلمية، د. شبيب الحافري)، و(النوم مفيد وضروري لتحسين الذاكرة) على صفحة الإنترنت.
(٧) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن ٣٩٢ .
(٨) التحقيق في كلمات القرآن، للشيخ حسن مصطفوي ٥/ ١٩ .
(٩) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، مكارم الشيرازي ١٩/ ٢٠٠ .
(١٠) معجم مقاييس اللغة مادة (رقد).
(١١) يُنظر: لسان العرب مادة (رقد).
(١٢) يُنظر: المصباح المنير مادة (رقد).
(١٣) يُنظر: تهذيب اللغة مادة (رقد).
(١٤) يُنظر: المصباح المنير مادة (رقد).
(١٥) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن مادة (رقد).
(١٦) مفردات ألفاظ القرآن مادة (رقد).
(١٧) التحقيق في كلمات القرآن مادة (رقد) ٤/ ٢٠٥ .
(١٨) يُنظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ١٦٢ وما بعدها.
(١٩) يُنظر: لسان العرب مادة (وسن).
(٢٠) يُنظر: معجم مقاييس اللغة مادة (وسن).
(٢١) الصحاح مادة (وسن).
(٢٢) لسان العرب مادة (وسن).
(٢٣) كتاب العين مادة (وسن).
(٢٤) تهذيب اللغة مادة (وسن).
(٢٥) مجمع البحرين مادة (وسن).
(٢٦) يُنظر: التحقيق في كلمات القرآن ١٣/ ١٢٣ .
(٢٧) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن مادة (وسن).
(٢٨) معالم التنزيل ١/ ٢٤٦ .
(٢٩) التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٣٠٨ .
(٣٠) يُنظر: أنوار التنزيل ١٥٢/١، والدر المصون ٢/ ٥٤١ ، وإرشاد العقل السليم ١/ ٢٤٨ .
(٣١) الديوان ١٠٠ .
(٣٢) يُنظر: مواهب الرحمن ٤/ ٢٥٨ .
(٣٣) منطق فهم القرآن ٢/ ١٥٥ .
(٣٤) معجم مقاييس اللغة مادة (قيل).
(٣٥) الصحاح مادة (قيل).
(٣٦) لسان العرب مادة (قيل).
(٣٧) يُنظر: المصدر نفسه مادة (قيل).
(٣٨) الميزان ٨/ ٩ .
(٣٩) تفسير الشعراوي ٧/ ٤٠٤٥ .
(٤٠) يُنظر: الدر المصون ٥/ ٢٥٢ .
(٤١) إرشاد العقل السليم ٢/ ٢١٢ ، ويُنظر: مجمع البيان للطبرسي ٤/ ٢٠٤ ، وروح المعاني للآلوسي ٤/ ٢٢١ .
(٤٢) معجم مقاييس اللغة مادة (نعس)، ويُنظر: الصحاح مادة (نعس).
(٤٣) يُنظر: المصباح المنير مادة (نعس).
(٤٤) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن ٨١٤ .
(٤٥) يُنظر: أسباب النزول للسيوطي ٥٢ .
(٤٦) يُنظر: من وحي القرآن للعلامة محمد حسين فضل الله، سورة آل عمران الآية (١٥٤) ص ٢ .
(٤٧) التحرير والتنوير ٤/ ١٣٣ .
(٤٨) المصدر نفسه ٩/ ٢٧٨ .
(٤٩) المصدر نفسه ٤/ ١٣٣ .

(٥٠) التفسير الكبير للرازي ٩/ ٤٤ .
(٥١) الكشاف للزمخشري ١/ ٤٧١ ، ويُنظر: جامع البيان ٤/ ١٩١ .
(٥٢) معجم مقاييس اللغة مادة (هجع).
(٥٣) مفردات ألفاظ القرآن مادة (هجع) ٨٣٤ .
(٥٤) يُنظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (هجع)، ومجمع البحرين مادة (هجع).
(٥٥) التحقيق في كلمات القرآن ١١/ ٢٦٣ .
(٥٦) يُنظر: تهذيب اللغة مادة (هجع)، والصحاح مادة (هجع)، ولسان العرب مادة (هجع).
(٥٧) يُنظر: إعراب القرآن وبيانه للدرويش ٩/ ٣٠٧ .
(٥٨) الميزان في تفسير القرآن ١٨/ ٣٧٣ .
(٥٩) يُنظر: من وحي القرآن، سورة الذاريات ١٧/ ١ .
(٦٠) في ظلال القرآن ٦/ ٢٢٧٧ .
(٦١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٥٢ .
(٦٢) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني ١٣٥ وما بعدها، وأساليب المعاني في القرآن، جعفر الحسيني ٣٠٨ وما بعدها.
(٦٣) الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي ١١٧ .
(٦٤) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي ٧١ .
(٦٥) التعبير القرآني ٥١- ٥٢ .
(٦٦) يُنظر: المصدر نفسه ٥٣ .
(٦٧) يُنظر: منطق فهم القرآن ٢/ ١٥٦ .
(٦٨) يُنظر: التفسير الكبير ٧/ ٩ .
(٦٩) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ٢/ ٣٣١- ٣٣٢ .
(٧٠) يُنظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني ٢١٩- ٢٢٠ .
(٧١) جماليَّات التَّلوين الصوتي في القرآن الكريم ٢٩١ .
(٧٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٤/ ١٢٣ .
(٧٣) مواهب الرحمن ٦/ ٤٢٤ .
(٧٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٩/ ٣٠٧ . ولا بُدَّ من الالتفات إلى أنَّ هناك وجوهاً إعرابيَّة أخرى في إعراب (قَلِيلاً)، لكن الوجه الذي ذكرناه هو من أكثر الوجوه الإعرابية المحتملة كما جاء في كتب المعربين والمفسرين.
(٧٥) تأريخ آداب العرب ٢/ ٢٢٥ .
(٧٦) التعبير الفني للقرآن ٢٠٩ .
(٧٧) يُنظر: التفسير الكبير ١٠/ ١٦٧ .
(٧٨) التراكيب النحوية ووظائفها الدلالية ١١٤ .
(٧٩) التحرير والتنوير ٢/ ١٩ .
(٨٠) منطق فهم القرآن ٢/ ٢٦٢ .
(٨١) يُنظر: الفروق الدلالية في الأسلوب القرآني، د. حسين عودة ٥٣ وما بعدها.
(٨٢) يُنظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٥٨ .
(٨٣) يُنظر: التحرير والتنوير ٩/ ٢٧٨ .
(٨٤) يُنظر: مفتاح العلوم للسكاكي ١٩٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ١/ ١٢٩ .
(٨٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٢/ ٧٩ .
(٨٦) يُنظر: أساليب المعاني في القرآن، جعفر الحسيني ٢٨٨ .